Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ولكن الذى يلفت النظر أن هذه الدعوة إلى الوحدة العضوية بهذه الصورة الكاملة لم تكن وليدة فكر ابن رشيق ، ولم تكن منهج شخص معين ، أو شعراء معينين ، وإنما هى طابع كان معروفا لدى النقاد القدماء ، وما كان الحاتمى الذى نقل عنه ابن رشيق هذا التعبير إلا واحدا من النقاد ، ولذلك لم ينقل ابن رشيق عنه على أنه مبتكر أو منفرد بهذا المنهج ، وإنما على أنه مبتكر لهذا التعبير عن هذا المنهج ، فتعبير الحاتمى فيما يبدو هو الذى أعجب ابن رشيق فنقله . ولكن السياق يوحى بأن المنهج نفسه ، وهو منهج الوحدة العضوية لم يكن جديدا ولا مبتكرا ، بل كان معروفا وملتزما لدى كل الشعراء الذين يحرصون على جودة شعرهم ، وهذا ما يصرح به ابن رشيق فى قوله (ووجدت حذاق الشعراء وأرباب الصناعة من المحدثين يحترسون من مثل هذه الحال ـ يعنى تفكك عناصر القصيدة ـ احتراسا يحميهم من شوائب النقصان ...) .

وقد يقال : فكيف بحديثه عن وحدة البيت ، وعن أنه يجب أن يكون مكتملا اكتمال البيت المبنى ؟ والجواب أنه لا تعارض بين كلام ابن رشيق فى حديثه عن الاهتمام ببناء البيت ، والاهتمام بوحدة القصيدة العضوية ، لأن القصيدة هى الكل ، والأبيات والعناصر أجزاء فيها ، والاهتمام بالكل لا يعنى عدم الاهتمام بالأجزاء ، بل العكس هو الصحيح ، فإن الكل لا يكون سليما إلا إذا كانت أجزاؤه سليمة ، وإذا فسدت الأجزاء أو ضعفت فلا بد أن يكون الكل فاسدا أو ضعيفا ، ومن هنا نفهم حديث ابن رشيق عن البيت المفرد ، فإن القصيدة الجيدة هى التى تكون أبياتها جيدة ، لأن القصيدة ليست إلا مجموع الأبيات ، ولذلك يجب على الشاعر أن يهتم بكل بيت فى قصيدته .

على أن تشبيه بيت الشعر ببيت البناء لا يعنى استقلاله ، فنحن نشاهد اليوم أن البناية تشتمل على عدة بيوت ، كل بيت منها لا بد أن يكون مكتمل المرافق ، ولكنه جزء من البناية ، وحتى البناية نفسها ما هى إلا جزء من حى ، وهكذا فكل جزء يكون له عادة وضع نسبى ، إذا نظرنا إليه لذاته فهو كيان محدد متميز ، وإذا نظرنا إليه باعتبار صلته بالكل فما هو إلا جزء من هذا الكل الذى لا يكمل إلا به ، وكل عمل جيد لا بد أن يراعى فيه الاهتمام بالناحيتين ، فالرسام مثلا حينما يرسم شجرة ، فإن اللوحة فى مجموعها وحدة فنية واحدة هى صورة الشجرة ، ولكن الرسام حين يرسم ورقة فى فرع